التقديم والتأخير
فى
القرآن الكريم

إعداد

دكتور محمد السيد متولى البغدادى

أستاذ مساعد

قسم اللغويات ـ دمنهور

الحمد لله رب العالمين ، ومنه نستمد العون والتوفيق ، والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله ، دعاة الهدى ومصابيح الظلام .

وبعد :

فهذا بحث فى قضية التقديم والتأخير فى القرآن الكريم تناولته بالدراسة والتحليل ، وعرض الآراء المؤيدة والمعارضة

وليس المقصود استقصاء مسائل التقديم المشهورة فى النحو ومؤلفاته كتقديم الخبر ، والحال ، والمفعول ، وغيرها، لأنها مسائل مشهورة ، وتكثر فى القرآن الكريم كثرتها فى مؤلفات النحو المختلفة .

قال ابن جنى : « فصل فى التقديم والتأخير ، وذلك على ضربين : أحدهما : مايقبله القياس ، والآخر : ما يسهله الاضطرار ، الأول كتقديم المفعول على الفاعل تارة ، وعلى الفعل الناصبة أخرى ... الخ » (١) .

ولكننى عنيت فى بحثى بمسألة التقديم والتأخير التى دعا الكثير من النحويين كأبى حيان إلى تنزيه القرآن الكريم عنها فى حين أجازها بعضهم الآخر .

فللمفسرين والنحويين فى هذه المسألة مواقف متباينة ، منهم من يجيزها فى القرآن . ومنهم من يمنعها ، لأن القرآن كلام الله جاء على أحسن وجه وفى غاية الفصاحة ، وفى إجازة هذه المسألة تفكيك للنظم القرآنى ، وإذهاب لحلاوته .

ومن الذين أجازوا هذه المسألة أبو الحسن الأخفش .

---

(١) ينظر الخصائص ٢/٣٨٢ .

قال ابن جنى : « وذهب أبو الحسن فى قوله سبحانه : (من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس) إلى أنه أراد من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس »(٢) .

وقال الأخفش : « .. يريد من شر الوسواس ، من الجنة والناس » (٣) .ومن المجوزين أبو بكر بن العربى قال : « والتقديم والتأخير كثير فى القرآن قاله الطبرى » (٤) .

ونجد الزركشى قد تحدث عن التقديم والتأخير فى البرهان ، ولكن الشواهد التى ذكرها يدور معظمها فى فلك ماأجازه النحويون ، ومن ذلك تقديم الحال ، والمفعول به ، والمعطوفات على بعضها ، والمعمول على عامله ، إلى غير ذلك من مسائل التقديم والتأخير المعروفة فى كتب النحو(٥) . وعقد عبد القاهر فصلا بعنوان (القول فى التقديم) وقال فيه : « هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف، بعيد الغاية لايزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ... الخ » ولكنه اكتفى فيه بذكر المسائل التى تشيع فى كتب النحو ، وبين أن التقديم على وجهين : تقديم يقال : إنه على نية التأخير كتقديم خبر المبتدأ ، وتقديم لاعلى نية التأخير كقولك مرة : زيد المنطلق ، وأخرى : المنطلق زيد(٦) .

ومن الذين منعوا هذه المسألة أبو حيان ، قال معقبا على قول مكى القيسى الذى ذهب إلى أن التقديم والتأخير كثير

---

(٢) الخصائص ٢/ ٤٢٠ .
(٣) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٧٤٧ .
(٤) أحكام القرآن ١/ ١٣٩ .
(٥) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٨٧ (النوع الثانى مما قدم النية به التأخير) .
(٦) دلائل الاعجاز ٨٢ ـ ١٠٤ .

فى القرآن : « وكلام مكى مدخول من غير وجه ، ولولا جلالة قائله نزهت كتابى هذا عن ذكره ، والترتيب القرآنى جاء فى غاية الفصاحة » (٧) .

وقال فى موضع آخر : « وقال بعض الناس : التقديم والتأخير حسن ، لأن ذلك موجود فى القرآن فى الجمل ، وفى الكلمات ، وفى كلام العرب ، وأورد من ذلك جملا ، من ذلك قصة نوح عليه السلام فى إهلاك قومه ، وقوله : (وقال اركبوا فيها) ، وفى حكم من مات عنها زوجها بالتربص بالأربعة الأشهر وعشر ، وبمتاع إلى الحول . إذ الناسخ مقدم ، والمنسوخ متأخر . وذكر من تقديم الكلمات فى القرآن والشعر على زعم كثيرا . والتقديم والتأخير ذكر أصحابنا أنه من الضرائر ، فينبغى أن ينزه القرآن عنه » (٨) .

وفى قوله تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث » (٩) .

قال أبو حيان : « وقال قتادة : هو على التقديم والتأخير، تقديره : أوتوا العلم فى كتاب الله والإيمان لقد لبثتم . وعلى هذا تكون (فى) بمعنى الباء ، أى : العلم بكتاب الله . ولعل هذا القول لايصح عن قتادة ، فإن فيه تفكيكا للنظم لايسوغ فى كلام غير فصيح ، فكيف يسوغ فى كلام الله ، وكان قتادة موصوفا بعلم العربية ، فلا يصدر عنه مثل هذا القول » (١٠)

وهكذا نرى أن أبا حيان كثير الاعتراض على من يحملون

---

(٧) البحر ١/ ٢٠ .
(٨) المرجع السابق ١/ ٢٥٩ .
(٩) سورة الروم آيه ٥٦ .
(١٠) البحر ٧/ ١٨٠ .

الآيات القرآنية على التقديم والتأخير ، ويدعو إلى تنزيه كتاب الله عن أن يكون فيه تقديم وتأخير ، وهذا ماسيتضح أثناء الدراسة لبعض الآيات .

ويرى الزجاج أنه لا يجوز القول بالتقديم والتأخير إلا بدليل ، قال : « ولا يصار إلى التقديم والتأخير الا بدليل قاطع يمنع من حمله على الظاهر » (١١) .

وهكذا فهناك الكثير من المانعين لهذه المسألة والمجوزين، وسوف يظهر ذلك من خلال دراستى لكثير من آيات القرآن .

وكما ذكرت من قبل فليس المقصود من البحث استقصاء مسائل التقديم المشهورة فى النحو ، لأن تلك وضع معروف ومشهور ، ولا يختلف عليها أحد ، وتكثر فى القرآن كثرتها فى مؤلفات النحويين(١٢) ولكننى وجهت قصدى إلى المسائل التى دعا فيها كثير من النحويين إلى تنزيه كتاب الله عنها، لأن ترتيبه جاء فى غاية الفصاحة ، وأنه لايصار إليه إلا بدليل قاطع يمنع من حمله على الظاهر كما قال الزجاج . ولأن فى التقديم والتأخير تفكيكا للنظم لايسوغ فى كلام غير فصيح، فكيف يسوغ فى كلام الله كما قال أبو حيان .

ومن خلال الآيات التى درستها قمت بحصر المواضع - قدر الإمكان - التى قال فيها النحويون أو المفسرون بالتقديم والتأخير مؤثرين حمل النص القرآنى على غير ظاهره ، وانتهيت من هذا الحصر إلى أن مسألة التقديم والتأخير تكون فى المواضع الآتية .

---

(١١) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٦٩٤ .

(١٢) يراجع الأشباه والنظائر ١/١٦٩ فقد حدد الأشياء التى لايجوز تقذيمها بثلاثة عشر موضعا ، والأشياء التى يجوز تقديها وهى سوى ما تقدم .

وسوف أتناولها بالدراسة والتطبيق على آيات من القرآن الكريم مبينا آراء المجيزين لهذه المسألة وأدلتهم ، ورد المانعين وبالله التوفيق ٠

١ ـ التقديم والتأخير فى الشرط وجوابه

وفيه عدة أوجه :

١ ـ التقديم والتأخير فى شرطين وجوابيهما ، كقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لاتسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها » (١٣) ٠

يرى بعض العلماء أن فى الآية تقديما وتأخيرا ، قال الجمل : « قال بعضهم فى الكلام تقديم وتأخير ، لأن التقدير: عن أشياء إن تسألوا عنها تبد لكم حين نزول القرآن ، وإن تبد لكم تسؤكم ٠

ولا شك أن المعنى على هذا الترتيب ، إلا أنه لا يقال فى ذلك تقديم وتأخير ، فإن الواو لا تقتضى ترتيبا » وقال أيضا « وفى السمين قوله : (عفا الله عنها) فيه وجهان ٠ أحدهما: أنه فى محل جر لأنه صفة أخرى لأشياء ، والضمير على هذا فى عنها يعود على أشياء ولا حاجة إلى ادعاء التقديم والتأخير فى هذا كما قاله بعضهم ٠ قال تقديره : لاتسألوا عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم ٠٠٠ إلى آخر الآية ، لأن كلا من الجملتين الشرطيتين وهذه الجملة صفة لأشياء ، فمن أين

---

(١٣)سورة المائدة آية ١٠١ ٠

أن هذه الجملة مستحقة للتقديم على ماقبلها » (١٤) ولا داعى إلى هذا التكلف بالتقديم والتأخير ، لأن فيه تفكيكا للنظم ، ولأن الواو لا تفيد الترتيب .

٢ ـ منه بين جوابى شرطين . كقوله تعالى :

« إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (١٥) . قوله تعالى : (فإنهم عبادك) جواب الشرط الأول فى موضع جزم ، وقوله : (فإنك أنت العزيز الحكيم) جواب الثانى .

وزعم جماعة أن قوله : (فإنك أنت العزيز الحكيم) لايتناسب مع قوله : (وإن تغفر لهم) فحملوا الكلام على التقديم والتأخير ، أى : إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وإن تغفر لهم فإنهم عبادك .

وأبطل هذا الزعم أبو حيان بقوله : « وأما قول من ذهب إلى أن فى الكلام تقديما وتأخيرا تقديره : إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك ، فليس بشىء، وهذا قول من اجترأ على كتاب الله بغير علم » (١٦) .

٣ ـ التقديم والتأخير فى جملة الشرط ومنه قوله تعالى:

« قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم ،

---

(١٤) الجمل ١/ ٥٣٠ . ويراجع التبيان ١/٢٢٨ ، حاشية الشهاب ٣ / ٢٨٧ .

(١٥) سورة المائدة آية ١١٨ .

(١٦) البحر ٤/٦٢ . ويراجع حاشية الشهاب ٣/٣٠٦ ، الكشاف ١ / ٣٧٤ .

(١٧) سورة يوسف آية ٩٨ ، ٩٩ .

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » (١٧)

يرى بعض المفسرين أن قوله : (إن شاء الله) بعد قوله: (قال سوف أستغفر لكم ربى) . قال الزمخشرى : « التقدير: أدخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذى الحال . ومن بدع التفاسير أن قوله : (إن شاء الله) من باب التقديم والتأخير ، وأن موضعها مابعد قوله : (سوف أستغفر لكم ربى) فى كلام يعقوب ، وما أدرى ماأقول فيه وفى نظائره » (١٨) .

وقال أبو حيان : « وهذه البدع من التفسير مروى عن ابن جريج ، وهو فى غاية البعد بل فى غاية الامتناع » (١٩) .

٤ ـ التقديم والتأخير فى غير جواب الشرط ، ومنه قوله تعالى :

« أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات »(٢٠).

ذهب الزجاج وبدر الدين بن مالك إلى أن (من) شرطية حذف جوابها ، وهى موصولة عند غيرهما ، وهو الظاهر ، فى موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف ، قال الكسائى : والذى يدل عليه قوله تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) والمعنى : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ذهبت نفسك

---

(١٨) الكشاف ٢ / ٢٧٦ .
(١٩) البحر ٥/٣٤٨ .
(٢٠) فاطر آية ٨ .

عليهم حسرات . وقيل تقديره : كمن لم يزين له كقوله : (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله) ، أو تقديره : فرآه حسنا فأضله الله كمن هداه الله ، فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء • ذكر الوجهين الزجاج(٢١) •

وذهب بعضهم إلى أن فى الكلام تقديما وتأخيرا • قال القرطبى : « وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، مجازه : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (٢٢) وهذا تكلف لاداعى إليه •

٢ ـ التقديم والتأخير فى المعطوفات

وفيه عدة أوجه :

الوجه الأول :

الفصل بين المتعاطفين بالمفعول الثانى كقوله تعالى :

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » (٢٣) •

يجوز فى قوله تعالى : (ومن الذين أشركوا) أن يكون متصلا داخلاً تحت أفعل التفضيل ، وأن يكون منقطعا من الدخول تحته ، ويكون مستأنفا •

---

(٢١) البحر ٧/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، مغنى اللبيب ٢/ ٥٨٠ ، الكشاف ٣ / ٢٦٩ •

(٢٢) تفسير القرطبى ٤/ ٣٢٤ ، ٣٢٥ •

(٢٣) سورة البقرة آية ٩٦ •

فإذا كان متصلا ففيه ثلاثة أوجه :

١ ـ أ نيكون من بـاب الحمـل على المعنى ، لأن معنى (أحوص الناس) أحرص من الناس ، فكأنه قيل : أحـرص من الناس ومن الذين أشركوا ٠

٢ ـ يحتمل أن يكون من بـاب الحـذف ، والتقـدير : وأحرص من الذين أشركوا ، فحذف من الثـانى لدلالة الأول عليه ٠

٣ ـ يحتمل أن يكون الكلام على التقديم والتـأخير ٠ قال القرطبى :

« وقيل فى الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة » (٢٤) ٠

وقال أبو حيان : « وأما قول من زعم أن قوله : ومن الذين أشركوا معطوف على الضمير فى قـوله : ولتجـدنهم ، أى : ولتجـدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص النـاس على حياة ، فيكون فى الكلام تقديم وتأخير ، فهو معنى يصح لكن اللفظ والتركيب ينبو عنـه ، ويخـرجه عن الفصـاحة ، ولا ضرورة تدعو إلى أن يكون ذلك من باب التقـديم والتـأخير لاسيما على قول من يخص التقديم والتأخير بالضرورة »(٢٥) ويظهر أن أقوى الأوجه الثلاثة هو الثانى المحمول على حذف معطوف ، لأنه أقل تكلفاً من الحمل على المعنى ، ومن التقديم والتأخير ، إذ لا ضرورة تدعو إليه ٠

وهذه الأوجه الثلاثة على تقدير أن تكون الواو فى قوله :

---

(٢٤) تفسير القرطبى ٢/٣٤ ٠
(٢٥) البحر ١/٣١٣ ، ٣١٤ ٠

(ومن الذين أشركوا) لعطف مفرد على مفرد ٠ وأما إذا كانت لعطف الجمل ، فيكون الكلام منقطعا من الدخول تحت أفعل التفضيل ، ويكون مستأنفا على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم (٢٦) ٠
الوجه الثانى :

التقديم والتأخير فى المعطوفات المتتالية ، ومنه الآيات التالية :

١ ــ « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (٢٧) ٠

استشكل مجىء (ثم) هنا من حيث إن الإفاضة الثانية هى الإضافة الأولى ، لأن قريشا كانت تقف بمزدلفة ، وسائر الناس يقفون بعرفة ، فأمروا أن يفيضوا من عرفة كسائر الناس ، فكيف يؤتى بـ (ثم) التى تفيد الترتيب والتراخى فى الزمان ؟

فى ذلك أكثر من وجه :

(أ) أن (ثم) للترتيب فى الذكر لا فى الزمان الواقع فيه الأفعال ، وحسن ذلك أن الإفاضة الأولى غير مأمور بها ، إنما المأمور به ذكر الله إذا حصلت الإفاضة ٠

(ب) أن تكون (ثم) هنا بمعنى الواو لا تدل على ترتيب

---

(٢٦) ينظر التبيان فى اعراب القرآن ١/٥٣ ، الكشاف ١/٨٣ ، الجمل ١ / ٨٠ ٠
(٢٧) سورة البقرة آية ١٩٨ ، ١٩٩ ٠

كآن التعبير : وأفيضوا من حيث أفاض الناس ، فهى لعطف كلام على كلام مقتطع من الأول ، وقد جوز بعض النحويين آن تأتى (ثم) بمعنى الواو بلا ترتيب .

(ج) قال القرطبى : « ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى ، وهى التى من المزدلفة ، فتجىء (ثم) على بابها ، وعلى هذا الاحتمال عول الطبرى » .(٢٨) ، وعليه فالمخاطب بقوله . (ثم أفيضوا) جميع المسلمين .

(د) أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات ... الخ قال بذلك بعضهم .

ورد هذا الوجه أبو حيان بقوله : «لكن التقديم والتأخير هو مما يختص بالضرورة ، وننزه القرآن من حمله عليه »(٢٩)

وقال الجمل : « آن تكون هذه الجملة - ثم أفيضوا - معطوفة على قوله : (واتقون ياأولى الألباب) ففى الكلام تقديم وتأخير وهو بعيد » (٣٠) .

٢ - أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » (٣١) .

---

(٢٨) تفسير القرطبى ٢/٤٢٧ .
(٢٩) البحر ٢/٩٩ .
(٣٠) الجمل ١/١٦٠ .
(٣١) سورة النساء آية ٨٢ ، ٨٣ .

ذهب الشيخ جمال الدين محمد بن سليمان النقيب إلى أن فى الآية حذفا وتقديما وتأخيرا . والتقدير : أفلا يتدبرون القرآن ، ولو تدبروه لعلموا أنه من كلام الله ، والمشكل عليهم من تشابهه ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . ثم قال : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ـ ثم التفت إلى المؤمنين فقال: ولولا فضل الله عليكم ... الخ (٣٢) .

وهو كما يبدو لنا تركيب لايتمشى مع النظم القرآنى البديع ، ولذلك رده أبو حيان بقوله : « وهو كما ترى تركيب ونظم غير تركيب القرآن ونظمه ، وكثيرا مايذكر هذا الرجل فى القرآن تقديماً وتأخيرا ، وأغرب من ذلك أنه يجعله من أنواع علم البيان ، وأصحابنا وحذاق النحويين يجعلونه من باب ضرائر الأشعار ، وشتان مابين القولين » (٣٣) .

٣ ـ « .. غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم مايريد ، ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم » (٣٤) .

يرى بعضهم أن فى الآية مع سابقتها تقديما وتأخيرا ، وأصل التركيب : (غير محلى الصيد وأنتم حرم فإذا حللتم فاصطادوا) وفى الآية الثانية (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ولا يجرمنكم شنآن قوم) .

---

(٣٢) البحر ٣/٣٠٦ .
(٣٣) المرجع السابق ٣/٣٠٧ .
(٣٤) سورة المائدة آية ١ ، ٢ .

ورد أبو حيان على من أجاز التقديم والتأخير بقوله :
« وكثيرا ماذكر هذا الرجل التقديم والتأخير فى القرآن ، والعجب منه أنه يجعله من علم البيان والبديع،وهذا لايجوز عندنا إلا فى ضرورة الشعر ، وهو من أقبح الضرائر، فينبغى بل يجب أن ينزه القرآن عنه » (٣٥) .

الوجه الثالث :

من أوجه التقديم فى المعطوفات تقديم المعطوف على فعل الشرط على جوابه ، كقوله تعالى :
« يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلىالصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء » (٣٦) .

نظم الآية إذا حمل على ظاهره فإنه يقتضى تأخير الوضوء عن الصلاة ، أو كونه قبلها ، أو متصلا بها بعد القيام وكل ذلك غير مراد ، وفى تأويله عدة أقوال :

١ - أن يكون المعنى : إذا قمتم إلى الصلاة أى اذا أردتم القيام إلى الصلاة أو قصدتموها ، لأن من توجه إلى الشىء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة ، فعبر عن القصد له بالقيام إليه (٣٦) وهو أظهر الأقوال وأقلها تكلفا .

٢ - أن يكون فى الكلام محذوف ، والتقدير : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين ، لأنه لايجب الوضوء إلا على المحدث .

---

(٣٥) البحر ٣/٤٢١ ، الدر اللقيط باظار البحر ٣/٤٢١ .
(٣٦) سورة المائدة آية ٦ .
(٣٦) ينظر الكشاف ١/٣٢٥ .

ويدل على هذا المحذوف مقـابلته بقوله : (وإن كنتم جنبـا فاطهروا) ٠

٣ ـ قال الشهاب : « وقيل فى الكلام شرط مقـدر ، أى إذا قمتم إلى الصلاة ان كنتم محدثين وان كنتم جنبا ، وهو قريب جدا » (٣٧) ٠

وقال الجمل : «فكأنه قال : إن كنتم محدثين حدثا أصغر فاغسلوا وجوهكم ، وإن كنتم محدثين الحدث الأكبرفاغسلوا الجسد كله » (٣٨) ٠

٤ ـ وقال قوم فى الكلام تقديم وتأخير ، أى : إذا قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم ٠ ورده أبو حيـان قال : « وهـذا التأويل ينزه حمل كتاب الله عليه » (٣٩) ٠

الوجه الرابع :

من أوجه المعطوفات التقديم والتأخير فيما يفصـل بين المعطوفات كقوله تعالى :

« سيصيب الذين أجـرموا صـغار عنـد الله وعـذاب شديد » (٤٠) ٠

قال اسماعيل الضرير فى الكلام تقديم وتأخير ، أى : صغار وعذاب شديد عند الله فى الآخرة(٤١) ٠ ولا داعى إلى

---

(٣٧) حاشية الشهاب ٣/٢٢٠ ٠
(٣٨) الجمـل ١/٤٦٦ ٠
(٣٩) البحـر ٣/٤٣٤ ٠
(٤٠) الأنعـام آية ١٢٤ ٠
(٤١) البحر ٤/٢١٧ ٠

مثل هذا التكلف ، والمعنى مستقيم بدونه ٠

قال أبو حيان : « وقدم الصغار على العذاب ، لأنهم تمردوا عن اتباع الرسول ، وتكبروا طلبا للعز والكرامة ، فقوبلوا أولا بالهوان والذل » (٤٢) ومعنى (عند الله) : أى فى حكمه ، وقيل فى سابق علمه ، والعنديه : هنا مجاز عن حشرهم يوم القيامة ، أو عن حكمه وقضاءه (٤٣) ٠

وقال الفراء : « أى : من عند الله ، كذلك قال المفسرون ٠٠٠ ولا يجوز فى العربية أن تقول : جئت عند زيد ، وأنت تريد من عند زيد » (٤٤) ٠

الوجه الخامس :

الفصل بين المتعاطفين بجمل كثيرة كقوله تعالى :

« والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم، إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » (٤٥) ٠

ذهب الزجاج إلى أن فى الكلام تقديما وتأخيرا٠والمعنى:

---

(٤٢) النهر ٤/٢١٧ ٠
(٤٣) الجمل ٢/٨٧ ٠
(٤٤) معانى القرآن ١/٣٥٣ ٠
(٤٥) سورة الأعراف آيات ١٩٧ ـ ٢٠٠ ٠

والذين تدعون من دونه لايستطيعون لكم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإخوانهم يمدونهم فى الغى(٤٦) ٠

واستبعد ذلكّ أبو حيان حيث قال : « وقد أبعد الزجاج فى دعواه أن قوله : (وإخوانهم) الآية متصل بقوله : (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) ولا حاجة إلى تكلف ذلك ، بل هو كلام متناسق آخذ بعضه بعنق بعض ٠

لما بين حال المتقين مع الشياطين ، بين حال غير المتقين معهم ، وأن أولئك إذا مايمسهم من الشيطان ماس أقلعوا على الفور ، وهؤلاء فى إمداد من الغى وعدم إقلاع عنه » (٤٧) ٠

الوجه السادس :

الفصل بين المتعاطفين بما ظاهره أنه خبر لإحداهما ٠٠ كقوله تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٤٨) ٠

لفظ الجلالة مبتدأ ، و (أحق) خبره ، والرسول : مبتدأ ثان ، وخبره محذوف دل عليه خبر الأول ٠ وسيبويه جعل (أحق) خبر الرسول ، وخبر المبتدأ الأول محذوف ، وهو رأى قوى ، إذ لايلزم منه التفريق بين المبتدأ وخبره ، ولأنه خبر الأقرب إليه ، ومثله قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما
عندك راض والرأى مختلف

وقال الشهاب : « أو لأن الكلام فى إيذاء الرسول ﷺ

---

(٤٦) تفسير القرطبى ٣٥١/٧ ٠
(٤٧) البحر ٤٥١/٤ ٠
(٤٨) سورة التوبة آية ٦٢ ٠

فيكون ذكر الله تعظيما له وتمهيدا ، فلذا لم يخبر عنه ، وخص الخبر بالرسول » (٤٩) ٠

وقال العكبرى : « وقيل : (أحق أن يرضوه) خبر عن الاسمين ، لأن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى ، ولأن الرسول قائم مقام الله بدليل قوله تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) » (٥٠) ٠ وقال أبو حيان فى هذا المعنى : « وأفرد الضمير فى (أن يرضوه) لأنهما فى حكم مرضى واحد ، إذ رضا الله هو رضا الرسول » (٥١) ٠

وأيد الشهاب هذا الرأى بقوله : « وقيل : إن الضمير لهما بتأويل ماذكر ، أو كل منهما ، وأنه لم يثن تأدبا لئلا يجمع بين الله وغيره فى ضمير تثنية ، وقد نهى عنه »(٥٢)

وهذا الرأى أظهر الأقوال ، وأقلها تكلفا ٠

والآية محمولة عند المبرد على التقديم والتأخير ٠ قال أبو حيان : « ومذهب المبرد أن فى الكلام تقديما وتأخيرا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله » (٥٣) ٠

الوجه السابع :

الفصل بين المتعاطفين (بإلا) ٠ ومنه قوله تعالى :

« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن » (٥٤) ٠

---

(٤٩) حاشية الشهاب ٤/٣٤٠ ٠
(٥٠) التبيان ٢/١٧ ٠
(٥١) البحر ٥/٦٤ ٠
(٥٢) حاشية الشهاب ٤/٣٤٠ ٠
(٥٣) البحر ٥/٦٤ ، الدر اللقيط باطار البحر ٠ الجزء والصفحة ٠
(٥٤) سورة الاسراء آية ٦٠ ٠

قال القرطبى : « فيه تقديم وتأخير ، أى : ماجعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنة للناس » (٥٥) ٠

وبين أبو حيان أن قراءة الجمهور بنصب الشجرة عطفا على الرؤيا ، فهى مندرجة فى الحصر ، ثم قال : « وقرأ زيد ابن على برفع (والشجرة الملعونة) على الابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : كذلك أى فتنة » (٥٦) وجعل العكبرى هذه القراءة شاذة (٥٧) ٠

الوجه الثامن :

الفصل بينهما بخبر (أن) ٠ ومنه قوله تعالى :

« أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه » (٥٨) ٠

قال القرطبى : « قيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى : أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض وجعل لهم أجلا لاريب فيه قادر على أن يخلق مثلهم » (٥٩) ٠

وجعل أبو حيان وغيره : جملة (وجعل لهم) لا محل لها معطوفة على جملة (أو لم يروا) الاستئنافية ، وليس فيه تقديم ولا تأخير ، وهو الصواب ٠ قال أبو حيان : « وعطف قوله : (وجعل لهم) على قوله : (أولم يروا) لأنه استفهام

---

(٥٥) تفسير القرطبى ١٠/٢٨٣ ، مشكل اعراب القرآن ١/٤٣٢ ٠
(٥٦) البحر ٦/٥٦ ٠
(٥٧) التبيان ٢/٩٣ ٠
(٥٨) سورة الاسراء آية ٩٩ ٠
(٥٩) تفسير القرطبى ١٠/٣٣٤ ٠

تضمن التقرير ، والمعنى قد علموا بدليل العقل كيت وكيت ، وجعل لهم » (٦٠) ٠

الوجه التاسع :

من أوجه التقديم والتأخير فى المعطوفات الفصل بين الفعل وعلته بالمعطوف كقوله تعالى :

« إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون » (٦١) ٠

قال القرطبى : « فى الكلام تقديم وتأخير ٠ المعنى : فإنه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية فى عقبه ٠ أى . قال لهم ذلك لعلهم يتوبون عن٤ بادة غير الله » (٦٢) ٠

ويرى الشهاب أن (لعل) على بابها للترجى ولا تعليل فيها ٠ قال : « الترجى من إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلا حاجة إلى جعلها للتعليل » (٦٣) ٠ فلا حاجة إلى القول بالتقديم ٠

الوجه العاشر :

الفصل بين المتعاطفين بالحال المصاحبة أو المقدرة ٠٠ كقوله تعالى : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » (٦٤) ٠

---

(٦٠) البحر ٨٢/٦ ، ٨٣ ، الكشاف ٣٧٦/٢ ، الجدول فى اعراب القرآن ٩٨/٨ ٠

(٦١) الزخرف آية ٢٧ ، ٢٨ ٠

(٦٢) تفسير القرطبى ٧٧/١٦ ٠

(٦٣) حاشية الشهاب ٤٣٩/٧ ، ٤٤٠ ٠

(٦٤) سورة الانسان آية ٢ ٠

قال الفراء : « والمعنى - والله أعلم - : جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، فهذه مقدمة معناها التأخير ، إنما المعنى : خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه » (٦٥) .

وقال القرطبى تعقيبا على كلام الفراء : « لأن الابتلاء لايقع إلا بعد تمام الخلقة » (٦٦) .

وقال أبو حيان : « نبتليه نختبره بالتكليف فى الدنيا. وعن ابن عباس : نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة ، فعلى هذا هى حال مصاحبة ، وعلى أن المعنى : نختبره بالتكليف فهى حال مقدرة ، لأنه تعالى حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليا له بالتكليف فى ذلك الوقت ... وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، الأصل فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه ، أى: جعله سميعا بصيرا هو الابتلاء ، ولا حاجة إلى ادعاء التقديم والتأخير ، والمعنى يصح بخلافه » (٦٧) وقال الشهاب: «وأما كون نبتليه فى نية التأخير ، أى : فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه ، فتعسف » (٦٨) .

وهكذا يتضح لنا أن فى التقديم والتأخير تكلفا من غير ضرورة ، لأن فيه تفكيكا للنظم بالإضافة إلى تقدير لام العلة

الوجه الحادى عشر :

التقديم والتأخير بين المعطوف والمعطوف عليه . كقوله تعالى : « إذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك » (٦٩) .

---

(٦٥) معانى القرآن ٣/٢١٤ .
(٦٦) تفسير القرطبى ١٩/١٢٢ .
(٦٧) البحر ٨/٣٩٤ .
(٦٨) حاشية الشهاب ٨/٢٨٧ .
(٦٩) سورة آل عمران آية ٥٥ .

يرى بعض العلماء منهم الفـراء وابن الأنبـارى أن فى قوله (متوفيك ورافعك إلى) تقـديما وتأخيرا ، لأن الـواو لمطلق الجمع لاتفيـد التـرتيب ، والمعنى : إنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء . قال الفراء « إن هذا مقدم ومؤخر ، والمعنى فيه : إنى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالى إياك فى الدنيا » (٧٠) .

وقال الأنبارى : « إنى رافعك إلى ومتوفيك ، الا أنه لما كانت الواو لاتدل على الترتيب قدم وأخر » (٧١) .

وقال الجمل : « فيـه وجهـان أظهرهما أن الـكلام على حاله من غير ادعاء تقديم وتأخير فيه بمعنى إنى مستوفى أجلك ومؤخرك وعاصمك من أن يقتلك الكفـار إلى أن تمـوت حتف أنفك من غير أن تقتـل بأيـدى الكفـار ورافعك إلى سمائى » (٧٢) . وبه قال الزمخشرى(٧٣) والبيضاوى(٧٤)

وقال الحسن ، وابن جريج ، وابن زيد : معنى متوفيك: قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت كما تقول : توفيت مالى من فلان أى قبضته (٧٥) .

وقيـل متوفيك هى وفاة نـوم ، رفعه الله فى منامه من

---

(٧٠) معانى القرآن ١/٢٩١ .
(٧١) البيان فى غريب اعراب القرآن ١/٢٠٦ .
(٧٢) الجمـل ١/٢٧٩ .
(٧٣) الكشاف ١/١٩٢ .
(٧٤) حاشية الشهاب ٣/٣٠ .
(٧٥) البحر ٢/٤٧٣ ، تفسير القرطبى ٤/١٠٠ .

قوله : (وهو الذى يتوفاكم بالليل) والمعنى : رافعك وأنت نائم حتى لايلحقك خـــوف وتستيقظ فى الســـماء وأنت أمن(٧٦) ٠

ورد القرطبى ذلك بقوله : « والصحيح أن الله تعـالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم » (٧٧) ٠

والظاهر ماقال العكبرى : « وقيل : الواو للجمع فلا فرق بين التقديم والتأخير » (٧٨) ولا ضرورة تدعو الى القول به

٣ ـ التقديم والتأخير فى الحال

ومنه تقديم الحال على العلة التى فى نية التأخير ٠٠ كقوله تعالى :

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ، فى الدنيا والآخـرة » (٧٩) ٠ جعـل بعض العلمـاء فى الآيتين تقديما وتأخيرا ، والتقدير : كذلك يبين الله لكم الآيات فى الدنيـا والآخرة لعلكم تتفكرون ٠ على أن (فى الدنيا والآخرة) فى موضع نصب على الحال من (الآيات) (٨٠) ٠

ورد أبو حيان على هذا الرأى بقوله : « وليس هـذا من باب التقديم والتأخير ، لأن (لعل)هنا جارية مجرى التعليل فهى كالمتعلقة بـ (يبين) ، وإذا كانت كذلك فهى والظرف من

---

(٧٦) البحر ٢/٤٧٣ ٠
(٧٧) تفسير القرطبى ٤/١٠٠ ٠
(٧٨) التبيان ١/١٣٧ ٠
(٧٩) البقرة آية ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠
(٨٠) تفسير القرطبى ٣/٦٢ ، البحر ٢/١٦٠ ٠

مطلوب (يبين) ، وتقدم أحد المطلوبين وتأخر الآخر لايكون ذلك من باب التقديم والتأخير » (٨١) .

ويرى بعض العلمـــاء منهم : القيسى أن (فى الدنيـا والآخرة) متعلقة بـ (تتفكرون) قال : « فى الدنيا والآخرة . فى : متعلقة بتتفكرون ، فهمـا طرفان للتفـكر ، تقـديره : تتفكرون فى أمور الدنيا والآخرة وعواقبها » (٨٢) . وهـو الظاهر فى الآية لأنه يخـلو من تكلف التقـديم والتأخير ، ويجعل لعل على بابها من الترجى .

ومنه تقديم الصفة على الحال . كقوله تعالى :

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » (٨٣) .

قال القرطبى : « قيل : فى الآية تقديم وتأخير ، أى : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحـكم بهـا النبيون » (٨٤) . على جعل (الذين هادوا) صفة لـ (هـدى ونور) .

ورد الشهاب على هذا الرأى بقوله : « وأما تعلق (للذين هادوا) بهدى ونـور ، فيلزم عليـه الفصـل بين المصـدر ومعموله » (٨٥) .

ولذلك قال أبو حيـان : « والظاهر أن (الذين هادوا)

---

(٨١) المرجع السابق الجزء والصفحة .
(٨٢) مشكل اعراب القرآن ١/١٢٩ ، ويراجع البيان ١/١٥٤ .
(٨٣) سورة المائدة آية ٤٤ .
(٨٤) تفسير القرطبى ٦/١٨٩ .
(٨٥) حاشية الشهاب ٣/٢٤٦ .

متعلق بقوله : (يحكم بها النبيون) وقيل بـ (أنزلنا) »(٨٦)

وجملة (فيها هدى) فى محل نصب حال من التوراة ٠ وجملة (يحكم بها النبيون) فى ممحل نصب حال ممن الضمير فى (فيها) ، و (الذين أسلموا) نعت فيه معنى المدح ، وقد بين ذلك القيسى قال : « الذينَ صفة للنبيين على معنى المدح والثناء ، لا على معنى الصفة التى تأتى للفرق بين الموصوف وبين من ليس صفته كذلك ، تقول : رأيت زيدا العاقل ، فتحتمل هده الصفة أن تكون جئت بها للثناء والمدح لا غير كالآية ، وتحتمل أن تكون جئت بها لتفرق بين زيد العاقل وبين زيد آخر ليس بعاقل ، وهو لايجوز فى الآية ، لأنه لا يمكن أن يكون لهم نبيون غير مسلمين » (٨٧) ٠

ومنه قوله تعالى : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه » (٨٨) ٠

قوله : (ولم يجعل له عوجا قيما) حالان من (الكتاب)، الأولى جملة والثانية مفردة ٠ وهذا على مذهب من يجوز وقوع حالين من ذى حال واحدة من غير عاطف ، وهى مسألة أجازها السيوطى قال : « المسألة الثالثة : يجوز تعدد الحال كالخبر والنعت سواء أكان صاحب الحال واحدا نحو جاء زيد راكبا مسرعا أم متعددا ٠٠٠ هذا هو الأصح ومذهب الجمهور » (٨٩) ٠

---

(٨٦) البحر ٣/٤٩١ ٠
(٨٧) مشكل اعراب القرآن ١/٢٢٦ ٠
(٨٨) سورة الكهف آية ١ ، ٢ ٠
(٨٩) الهمع ١/٢٤٤ ٠

وهو القول الظاهر فى هـذه المسـألة ، ولذلك جاء فى البحر : « وقال الكرمانى : إذا جعلته حالا ، وهو الأظهر فليس فيه تقديم ولا تأخير . والصحيح أنهما حالان من الكتـاب الأولى جملة والثانية مفردة » (٩٠) .

وإن كان قد ذهب جماعة من النحاة منهم الفارسى، وابن عصفور إلى أن الفعـل الواحد لا ينصب أكثر من حال واحدة لصاحب واحد ، ـ مالم يكن العامل فيـه أفعل التفضـيل ـ فالثانى عندهم نعت للأول ، أو حال من الضمير فيه (٩١) .

وأجاز قوم أن يكون (قيما) بدلا من قوله : (ولم يجعل له عوجا) على مذهب من يجيز إبدال المفرد من الجملة . قال أبو حيان : « وقال صاحب حل العقد : يمكن أن يكون قوله: (قيما) بدلا من قوله : ولم يجعـل له عوجا) أى : جعـله مستقيما قيما » (٩٢) .

وهى مسألة مختلف فيها ، وأجازها قوم منهم ابن جنى، والزمخشرى ، وابن مالك (٩٣) .

وأجاز الزمخشرى أن يكون قوله : (ولم يجعل) معطوفا على (أنزل) فهو داخل فى حيز الصلة ، و (قيما) منصوب عنده بفعل مضمر أى : جعله قيما ، ولم يجعله حالا ، لأن فيه فصلا بين الحال (قيما) وصاحبها (الكتاب) ببعض الصلة وفى هذا الرأى تكلف (٩٤) .

---

(٩٠) البحر ٦/٩٦ .
(٩١) ينظر الهمع ١/٢٤٤ ، حاشية الصبان ٢/١٨٤ .
(٩٢) البحر ٦/٩٦ .
(٩٣) الهمع ٢/١٢٨ .
(٩٤) الكشاف ٢/٣٧٩ .

وأجاز ابن عطية والطبرى والعسكرى فى الآية التقديم والتأخير ، والتقـدير : أنـزل الكتاب قيما غ واعترض بين الحال وصاحبها بجملة (ولم يجعل له عوجا) ، وهى مسألة جائزة عند النحويين . قال أبو حيـان : « أما إذا قلنـا بأن الجملة المنفية اعتراض فهو جائز ، ويفصل بجمل للاعتراض بين الحال وصاحبها » (٩٥) .

٤ ـ التقديم والتأخير فى متعلقات الأفعال

ومنه تأخير معمول فعل عن موضـعه وجعله فى الظاهر معمولا لآخر . كقوله تعالى :

١ ـ « فـلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنمـا يريد الله ليعذبهم بهـا فى الحيـاة الدنيـا وتزهق أنفسـهم وهم كافرون » (٩٦) .

يرى بعض العلماء أن فى الآية تقديما وتأخيرا، والمعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا إنمـا يريد الله ليعذبهم بهـا فى الآخرة ، قال بذلك كثير منهم الفراء ، وابن عباس ، وقتادة (٩٧) .

وعلق أبو حيان على هذا الرأى بقوله . « ويكون (إنما يريد الله ليعذبهم بها) جملة اعتراض فيها تشديد للكلام ، وتقوية لانتفـاء الإعجاب لأن من كان مآل إتيانه المال والولد للتعذيب لا ينبغى أن تستحسن حاله ولا يفتتن بها » (٩٨) .

---

(٩٥) البحر ٦/٩٦ ، حاشية الشهاب ٦/٧٣ ، البيان ٢/٩٩ .
(٩٦) التوبة آية ٥٥
(٩٧) معانى القرآن للفراء ١/٤٤٢ ، تفسير القرطبى ٨/١٦٤ .
(٩٨) البحر ٥/٥٤ .

٣ ـ قال تعالى : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار ، وابتغاكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » (١٠٧) ٠

قال القرطبى : « قيل : فى الآية تقديم وتأخير ٠ والمعنى: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه ، والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه فى الاسم الظاهر خاصة ، فجعل النوم بالليل دليلا على الموت ، والتصرف بالنهار دليل على البعث » (١٠٨) ٠ وهذا الرأى منسوب إلى ابن عطية وغيره من المفسرين ٠ وضعفه أبو حيان قال : « والظاهر أن (بالليل والنهار) متعلق بمنامكم ، فامتن تعالى بذلك ، لأن النهار قد ينام فيه ، وخصوصا من كان مشتغلا فى حوائجه بالليل ٠ وابتغاؤكم من فضله : أى فيهما أى فى الليل والنهار معا ، لأن بعض الناس قد يبتغى الفعل بالليل كالمسافرين والحراس بالليل وغيرهم » (١٩) ٠

ورجح ذلك الشهاب ٠ قال : « أى نومكم واستراحتكم فى الزمانين ، الليل على المعتاد فيه ف والنهار كنوم القيلولة، وكذا الابتغاء والكسب نهارا على المعتاد فيه ، وليلا كما يقع فى الليل من بعض الأعمال ٠٠٠ فيكون الليل والنهار راجعا لكل من المنام والابتغاء من غير لف ونشر فيه » (١١٠) ٠

٤ ـ قال تعالى : « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث » (١١١) ٠

---

(١٠٧) الروم آية ٢٣ ٠
(١٠٨) تفسير القرطبى ١٤/١٨ ٠
(١٠٩) البحر ٧/١٦٧ ٠
(١١٠) حاشية الشهاب ٧/١١٧ ٠
(١١١) الروم آية ٥٦ ٠

قال الفراء: « والمعقبات من أمر الله عز وجل يحفظونه . وليس يحفظ من أمره . إنما هو تقديم وتأخير » (١٠٣) ، ونسب هذا الرأى أيضا إلى مجاهد والنخعى ، وابن جريج ، فيكون (من أمر الله) فى موضع رفع صفة لمعقبات .

وقال أبو حيان : « والظاهر أن قوله : (من أمر الله) متعلق بقوله (يحفظونه) قيل : من للسبب ، ويكون معناها ومعنى البا سواء ، كأنه قيل : يحفظونه بأمر الله وبإذنه ، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك » ثم قال معقبا على رأى الفراء ومن معه : « ولا يحتاج فى هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير ، بل وصفت المعقبات بثلاث صفات فى الظاهر أحدها : (من بين يديه ومن خلفه) أى كائنة من بين يديه ، والثانية : (يحفظونه) أى حافظات له ، والثالثة: كونها من أمر الله » (١٠٤) .

ويجوز أيضا فى قوله : (من بين يديه) أن يكون حالا من الضمير فى شبه الجملة الواقعة خبرا . ويجوز أن يتعلق بـ (يحفظونه) أى معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه (١٠٥) .

وقال الشهاب : « وقد قرىء : يحفظونه لأمر الله لهم بحفظه . فمن تعليلية، والقراءة باللام لم يذكرها الزمخشرى، وإنما فكر القراءة بالياء السببية ، ولا فرق بين العلة والسبب عند النحاة » (١٠٦) .

---

(١٠٣) معانى القرآن ٢/ ٦٠ ، المحتسب ١/ ٣٥٥ .
(١٠٤) البحر ٥/ ٣٧٢ .
(١٠٥) التبيان فى اعراب القرآن ٢/ ٦٢ .
(١٠٦) حاشية الشهاب ٥/ ٢٢٥ .

وقيل المعنى : أن الله يعذبهم بها لأنها وبال عليهم ، لأنه يعز عليهم أن ينفقوها فى الوجوه التى آمرهم بها ويبخلون. قال الزجاج : « وقيل : يعذبهم الله بجمعها والبخل بها » (٩٩) .

وقال القرطبى : « وقيل : المعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا لأنهم منافقون، فهم ينفقون كارهين فيعذبون بما ينفقون » (١٠٠) .

وهذا القول أولى وأقرب من الحمل على التقديم والتأخير ، ولذلك قال أبو حيان : « التعذيب قد يكون فى الدنيا كما يكون فى الآخرة ، ومع أن التقديم والتأخير خصه أصحابنا بالضرورة » .

وقال أيضا : « والذى يظهر من حيث عطف (وتزهق) على (ليعذب) أن المعنى : ليعذبهم بها فى الدنيا وفى الآخرة ، ونبه على عذاب الآخرة بعلته ، وهو زهوق أنفسهم على الكفر ، لأن من مات كافرا عذب فى الآخرة لامحالة»(١٠١)

٢ ـ قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » (١٠٢) .

ذهب بعض العلماء منهم الفراء ، وابن جنى إلى أن فى فى الكلام تقديما وتأخيرا ، أى : له معقبات من أمز الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه .

---

(٩٩) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٧٢٣ .
(١٠٠) تفسير القرطبى ٨/١٦٤ .
(١٠١) البحر ٥/٥٤ ، الجدول ٥/٣١١ .
(١٠٢) الرعد آية ١١

قال أبو حيان : « وقال قتادة : هو على التقديم والتأخير تقديره : أوتوا العلم فى كتاب الله والإيمان لقد لبثتم .وعلى هذا تكون (فى) بمعنى (الباء) أى العلم بكتاب الله» (١١٢) وقال به أيضا مقاتل والسدى (١١٣) .

وضعفه أبو حيان بقوله : « ولعل هذا القول لايصح عن قتادة فإن فيه تفكيكا للنظم لايسوغ فى كلام غير فصيح ، فكيف يسوغ فى كلام الله ، وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصح عنه مثل هذا القول » ١١٤) .

والذين أوتوا العلم : هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون . وفى كتاب الله فيما وعد به فى كتابه من الحشر والبعث . والعلم يعم الإيمان وغيره ، ولكن نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم(١١٥) .

٥ ـ التقديم والتأخير فى بعض الحروف

ومنه التقديم والتأخير فى أحد الحروف ، لأن الأصل فيه عند قوم أن يدخل على اسم غير الاسم الظاهر الذى دخل عليه . ومنه قوله تعالى :

٢ ـ « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » (١١٦) .

فى الآية عدة تأويلات :

يرى العكبرى أن المصدر المؤول (أن تموت) اسم كان، و (إلا بإذن الله) الخبر ، وهو شبه جملة ، و (لنفس)

---

(١١٢) البحر ٧/ ١٨٠ .
(١١٣) تفسير القرطبى ١٤/ ٤٨ .
(١١٤) البحر ٧/ ١٨٠ .
(١١٥) المرجع السابق الجزء والصفحة .
(١١٦) آل عمران آية ١٤٥ .

متعلقــة بــ (كان) ، واللام للتبيين ، أو متعلقة بمحذوف ، والتقدير : وما كان الموت لنفس ، وأن تموت تبيين للمحذوف . ولا يجوز أن تتعلق اللام بتموت لما فيه من تقديم الصلة على الموصول(١١٧) .

ورد أبو حيــان على رأى العــكبرى فى تعلق (لنفس) بـ (كان) ، قال : « وهــذا لايتم إلا إن كانت (كان) تامة ، وقول من قال هى متعلقة بمحذوف تقديره : وما كان المــوت لنفس ، وأن تموت تبيين للمحذوف : مرغوب عنه ، لأن اسم كان إن كانت ناقصة ، أو الفاعل إن كانت تامة لا يجوز حذفه، ولا فى حذفه لو جاز من حذف المصــدر وإبقاء معموله ، وهو لا يجوز على مذهب البصريين » (١١٨) . وهكذانرى أن أبا حيان ضعف رأى العكبرى ، وجعله غير مرغوب فيه . وأرى أن رأى العكبرى ليس بضعيف ، لأنه لم يقل بحذف اسم كان بل ذكر أن المصدر المؤول اسمها .

ولعل تقدير أبى البقاء يدل على أن المحذوف مبتدأ ، أى: إرادتى لنفس ، ومما يعزز هذا التقدير ماجاء به الدسوقى فى حاشيته على المغنى فى لام التبيين (١١٩) كقــولهم : سقيا

---

(١١٧) التبيان ١/١٥١ .

(١١٨) البحر ٣/٧٠ .

(١١٩) لام التبيين : هى لام مبينة للــمدعو له أو عليه ان لم يــكن معلوما من سياق أو غيره ، أو مؤكدة للبيان ان كان معلوما ، مثل سقيــا لزيد وجدعا له . وهذه اللام متعلقة بمحــذوف ولا تتعلق بالمصــدر ، ولا بالفعل المقدر مكانه ، لأنهما متعديان بأنفسهما ، ولا هى مقوية للعامل لضعفه بالفرعية ، لأن لام التقوية صالحة للسقوط ، وهذه لاتسقط ، لايقال : سقيا زيدا ولاجدعا اياه ، ولا هى ومجــرورها صــفة للمصــدر ، لان الفعــل لا يوصف فكذلك ما أقيم مقامه ، وليس تقدير المحذوف (أعنى) بل التقدير ارادتى لزيد . يراجع فى لام التبيين : المغنى ١/٢٢١ ، حاشية الدســوقى عل المغنى ١/٢٣٢ .

لزيد ، وأنها تتعلق بمحذوف تقديره : إرادتى . قال : « ليس المراد تقدير العامل فى اللام ، وإلا كانت للتقوية ، لأن الإرادة مصدر متعد ، بل المراد تقدير الكلام الذى فيه لام التبيين ، أى حاصل معناه . وإرادتى : مبتدأ ، ولزيد متعلق باستقرار محذوف خبر ، والجملة جواب لسؤال مقدر ، كأنه قيل : لمن تريد ؟ » (١٢٠) .

وجعل بعضهم (كان) زائدة ، والمصدر المؤول مبتدأ ، و (لنفس) خبره(١٢١) . وذهب الزجاج إلى أن تقدير الكلام : (وما كان نفس لتموت) فقدمت اللام ، وجعل ماكان اسما لها ، وهو المصدر المؤول خبرا ، وما كان خبرا ، وهو شبه الجملة اسما لها .

وقال فيه أبو حيان : « ولا يريد بذلك : الإعراب إنما فسر من جهة المعنى » (١٢٢) وأرى أن إعراب الجمل هو الظاهر فى هذه الآية ، لأنه خال من التكلف والتقديم والتأخير ، وهو أن المصدر المؤول (أن تموت) اسم لكان . و (لنفس) خبرها ، و (بإذن الله) حال من الضمير فى (يموت) ، والاستثناء مفرغ ، والتقدير : وما كان لها أن تموت إلا مأذونا لها (١٢٣) .

٢ ـ ومنه قوله تعالى : « إن نظن الا ظنا » (١٢٤) .

تقول : ضربت ضربا ، فإن نفيت لم تدخل إلا ، اذ لايفرغ

---

(١٢٠) حاشية الدسوقى علي المغنى ١/٢٣٢ .
(١٢١) البحر ٣/٧٠ .
(١٢٢) المرجع السابق الجزء والصفحة .
(١٢٣) الجمل ١/٣٢٠ .
(١٢٤) الجاثية آية ٣٢ .

العامل بالمصدر المؤكد ، فلا تقول : ماضربت الا ضربا ، ولا ماقمت إلا قياما ، لأن معناه ماقمت إلا قمت ، وما ضربت الا ضربت ، وهذا كلام لافائدة فيه ، ولذلك فالآية مؤولة ٠

إما على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصا لامؤكدا، وتقديره : إلا ظنا ضعيفا ، أو على تضمين (نظن) معنى نعتقد ، ويكون (ظنا) مفعولا به قال ابن الأنبارى : « تقديره: إن نظن إلا ظنا لا يؤدى الى العلم واليقين ، وانما افتقر الى هذا التقدير لأنه لايجوز أن يقتصر على أن يقال : ماقمت إلا قياما ، لأنه بمنزلة : ماقمت إلا قمت ، وذلك لافائدة فيه »(١٢٥)

وقال القيسى : « وإنما احتيج إلى هذا التقدير لأن المصدر فائدته كفائدة الفعل ، فلو جرى الكلام على غير حذف لصار تقديره : إن نظن إلا نظن ، وهذا كلام ناقص ، ولم يجز النحويون ما ضربت إلا ضربا ، لأن معناه : ما ضربت إلا ضربت ، وهذا كلام لا فائدة فيه » (١٢٦) ٠

وأول المبرد الآية على التقديم والتأخير على أن (إلا) فى غير موضعها ، أى إن نحن إلا نظن ظنا (١٢٧) ٠

وقيل : التقدير : إن نظن إلا أنكم تظنون ظنا ٠ قال أبو حيان : « وهو محكى عن المبرد ، ولعله لا يصح » (١٢٨) ٠

وقال الزمخشرى : « فإن قلت : ما معنى إن نظن إلا ظنا؟ قلت : أصله نظن ظنا ، ومعناه إثبات الظن فحسب ، فأدخل

---

(١٢٥) البيان ٢/٣٦٧ ، البحر ٨/٥١ ٠
(١٢٦) مشكل اعراب القرآن ٢/٦٦٤ ٠
(١٢٧) تفسير القرطبى ١٦/١٧٧ ٠
(١٢٨) البحر ٨/٥٢ ٠

حرفا النفى والاستثناء ليفاد إثبـــات الظـــن مع نـــفى ما سواه » (١٢٩) ٠

ورد عليه أبو حيان قال : « وهذا كلام ممن لا شعور له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون فى جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره إلا المصدر المؤكد ، فإنه لا يكـــون فيـــه » (١٣٠) ٠

٣ ـ ومنه قوله تعالى : « وإنه لحب الخير لشديد »(١٣١)

الخير : هو المال ٠ و (لشديد) أى لقوى فى حبه للمال٠ وقيل : (لشديد) لبخيل ، ويقال للبخيل : شديد ومتشدد ، واللام للتعليل ، والمعنى : وإنه لأجل حب المال لبخيل ، أو أنه لحب المال وإيثاره قوى مطيق ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس ٠ وهذا المعنى هو الظاهر فى الآية ، لأنه لا يحتاج إلى تكلف بتقديم وتأخير يؤدى إلى تفكيك النظم القرآنى ٠ (١٣٢) ٠

وذهب الفراء إلى أن نظم الآية : وإنه لشديد الحب للخير، فلما تقدم الحب قال : لشديد ، وحذف من آخره ذكر الحب ، لأنه قد جرى ذكره فى الأول ٠ قال : « ونرى ـ والله أعلم ـ أن المعنى : وإنه للخير لشديد الحب » (١٣٣) ٠

٦ ـ التقديم والتأخير فيما هو فى حيز (إلا)

---

(١٢٩) الكشاف ٣/٤٤٠ ٠
(١٣٠) البحر ٨/٥٢ ٠
(١٣١) العاديات آية ٨ ٠
(١٣٢) تفسير القرطبى ٢٠/١٦٢ ، البحر ٨/٥٠٥ ، اعراب ثلاثين سورة ١٧٣ ٠
(١٣٣) معانى القرآن ٣/٢٨٥ ٠

ومنه قوله تعالى : « وما اختلف الذين أوتوا الكتـــاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » (١٣٤) ٠

يرى الأخفش أن فى الآية تقديما وتأخيرا ، والتقدير : وما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد جاءهم العلم ٠ (١٣٥) ٠

والظاهر كما قال العكبرى فى تقديره : « بغيا : مفعول لأجله ، والتقدير : اختلفوا بعد ما جاءهم العلم للبغى ، ويجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال » (١٣٦) ٠

وبه قال الشهاب : « ما اختلفوا فى وقت لغرض إلا بعد العلم لغرض البغى » (١٣٧) ٠

ومنه تقديم المستثنى على المستثنى منه ٠ كقوله تعالى : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » (١٣٨) ٠

فى قوله تعالى : (إلا لمن تبع دينكم) وجهان : أحدهما أنه استثناء مما قبله ، والتقدير : ولا تقروا إلا لمن تبع دينكم، وعليه فاللام غير زائدة ، ويجوز أن تكون زائدة ، ويكـــون محمولا على المعنى أى : اجحدوا كل أحد إلا من تبع دينكم ٠

قال أبو حيان : « والأجود ألا تكون اللام زائدة ، بل ضمن آمن معنى أقر واعترف ، فعدى باللام » (١٣٩) ٠

---

(١٣٤) آل عمران آية ١٩ ٠
(١٣٥) معانى القرآن للاخفش ١/٤٠١ ، اعراب القرآن المنسـوب للزجاج ٢/٧١٩ ، تفسير القرطبى ٤/٤٤ ٠
(١٣٦) التبيان ١/١٢٩ ٠
(١٣٧) حاشية الشهاب ٣/١٤ ، مشكل اعراب القرآن ١/١٥٢ ٠
(١٣٨) آل عمران آية ٧٣ ٠
(١٣٩) البحر ٢/٤٩٤ ٠

والوجه الثانى ذكره العكبرى : أن النية فيه التأخير ، والتقدير : ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم ، فاللام على هذا زائدة ، و (من) فى موضع نصب على الاستثناء من أحد ، وتكون جملة (قل إن الهدى هدى الله) معترضة .

ولكن أبا البقاء عده بعيدا حيث قال : « وهذا الوجه بعيد، لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ، وعلى العامل فيه ، وتقديم مافى صلة (أن) عليها » (١٤٠) .

وعلى هذا الوجه فالمصدر الأول (أن يؤتى أحد) فى محل جر بحرف محذوف ، أى : ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد . وقدره الزمخشرى : « ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم » (١٤١) .

وأجاز العكبرى أن يكون المصدر المؤول مفعولا لأجله على حذف مضاف تقديره : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم مخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (١٤٢) .

وعلى الوجه الأول قال أبو حيان : « قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون قوله : (أن يؤتى) بدلا من قوله : (هدى الله) ، ويكون المعنى : قل إن الهدى هدى الله وهو أن يؤتى أحد كالذى جاءنا نحن » (١٤٣) .

وقال الزمخشرى : « ويجوز أن يكون (هدى الله) بدلا من (الهدى) ، و (أن يؤتى أحد) خبر (إن) على معنى :

---

(١٤٠) التبيان ١/١٣٩ .
(١٤١) الكشاف ١/١٩٥ .
(١٤٢) التبيان ١/١٣٩ ، الجدول ٢/١٨٢ .
(١٤٣) البحر ٢/٤٩٥ .

قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » (١٤٤) ٠

ورد أبو حيان هذا الرأى ٠ قال : « وهو بعيد ، لأن فيه حذف حرف النهى ومعموله ، ولم يحفظ ذلك فى لسانهم » (١٤٥) ٠

٧ ـ التقديم والتأخير فى باب التمييز

ومنه تقديم ما ظاهره التمييز على المميز ٠ كقوله تعالى:

« وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما » (١٤٦) ٠

فى تمييز العدد عدة آراء :

١ ـ يرى أبو حيان والعكبرى ، والزجاج ، وابن الأنبارى أن التمييز محذوف لفهم المعنى ، والتقدير : اثنتى عشرة فرقة، و (أسباطا) بدل من (اثنتى عشرة) ٠ وقال العكبرى . (أمما) نعت لأسباطا ، أو بدل بعد بدل ، ولا يجوز أن يكون (أسباطا) تمييزا لأنه جمع ، وتمييز هذا النوع لا يكون إلا مفردا ٠ و (اثنتى عشرة) حال ، وأجاز أبو البقاء أن يكون قطعنا بمعنى صيرنا ، فيكون (اثنتى عشرة) مفعولا ثانيا ٠ (١٤٧) ٠

٢ ـ ذهب الزمخشرى إلى أن (أسباطا) تمييز ٠ قال : فإن قلت : مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا ، وهلا قيل اثنتى عشرة سبطا ؟ قلت : لو قيل ذلك لم يكن

---

(١٤٤) الكشاف ١/١٩٦ ٠
(١٤٥) البحر ٢/٤٩٥ ٠
(١٤٦) الأعراف آية ١٦٠ ٠
(١٤٧) البحر ٤/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، التبيان ١/٢٨٧ ، البيان ١/٣٧٦ ، القرطبى ٧/٣٠٣ ٠

تحقيقا ، لأن المراد وقطعنـــاهم اثنتى عشرة قبيـــلة ، وكل فبيلة أسباط لا سبط ، فوضع أسباطا موضع قبيلة»(١٤٨) ٠ و (أمما) بدل من اثنتى عشرة ٠

وهو مردود عند أبى حيان ٠ قال : « وما ذهب إليه من أن كل قبيلة أسباط خلاف ما ذكر الناس ، ذكروا أن الأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب » (١٤٩) ٠

٣ ــ ذهب الحوفى إلى أن التمييز محذوف ، والتقدير : اثنتى عشرة فرقة ، ويكون (أسباطا) نعتا لفرقة ، ثم حذف الموصوف ، وأقيمت الصفة مقامه ، و (أمما) نعت لأسباط . وأنث العدد وهو واقع على الأسباط ، وهو مذكر ، لأنه بمعنى الفرقة أو الأمة ، وفيه وصف التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى (١٥٠) ٠

٤ ــ أن يكون المفعول به محذوفا ، والتقدير : وقطعناهم فرقا اثنتى عشرة ، فلا يحتاج إلى تمييز (١٥١) ٠

٥ ــ أن يكون الكلام محمولا على التقديم والتأخير ، والتقدير : وقطعناهم أسباطا أمما اثنتى عشرة ٠ وفيه تكلف لا داعى إليه ، ولذلك قال أبو حيان تعقيبا على الآراء السابقة: « وهذه كلها تقادير متكلفة ، والجارى على قواعد العرب القول الذى بدأنا به » (١٥٢) ٠

٦ ــ جوز الفراء أن يكون تمييز العدد من أحد عشر إلى

---

(١٤٨) الكشاف ٢/٩٨ ، ٩٩ ٠
(١٤٩) البحر ٤/٤٠٧ ٠
(١٥٠) حاشية الشهاب ٤/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، البحر ٤/٤٠٧ ٠
(١٥١) المرجعان السابقان الجزء والصفحة ٠
(١٥٢) البحر ٤/٤٠٧ ٠

تسعة وتسعين جمعا منصوبا مخالفا رأى الجمهور ، وعليه يكون (أسباطا) هو التمييز . قال السيوطى : « ولا يجوز جمعه عند الجمهور ، وجوزه الفراء نحو عندى أحد عشر رجالا ، وقام ثلاثون رجالا ، وخرج عليه : اثنتا عشرة أسباطا » (١٥٣) .

وأجازه الشهاب أيضا على التأويل بالمفرد ، وعلل ذلك بأن السبط مفرد بمعنى ولد كالحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ، ثم استعمل فى كل جماعة من بنى اسرائيل بمعنى القبيلة فى العرب . ثم قال : « وقد يطلق على كل قبيلة منهم أسباطا ، فيكون مفردا تأويلا ، لأنه بمعنى الحى والقبيلة ، فلذا وقع موقع المفرد فى التمييز » (١٥٤) .

٨ ـ التقديم والتأخير فيما هو فى حيز (إن)

ومنه قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » (١٥٥) .

زعم بعض العلماء أن فى الآية تقديما وتأخيرا . قال القرطبى : « وقيل فى الآية تقديم وتأخير ، معناه : ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا إلا ما قد سلف » (١٥٦) .

وهذا قول غير جائز عند السمين الحلبى وأبى حيان ، لأن ما فى حيز (إن) لا يتقدم عليها ، وكذلك المستثنى لا يتقدم

---

(١٥٣) الهمع ١/٢٥٣ .
(١٥٤) حاشية الشهاب ٤/٢٢٨ .
(١٥٥) النساء آية ٢٢ .
(١٥٦) تفسير القرطبى ٥/١٠٤ .

على الجملة التى هو من متعلقاتها بالاتصال أو الانقطاع . هذا من ناحية النحو ، ومن ناحية المعنى فليس المعنى عليه ، لأن الله أخبر أنه فاحشة ومقت وقعت فى الزمان الماضى بقوله (كان) فلا يصح أن يستثنى منه الماضى ، لأن المعنى يصير : هو فاحشة فى الزمن الماضى إلا ما وقع منه فى الزمن الماضى فليس بفاحشة .

ولذلك علق أبو حيان على معنى القول بالتقديم والتأخير بقوله : « وهذا معنى لا يمكن أن يقع فى القرآن ، ولا فى كلام عربى لتفاهته » (١٥٧) .

٩ ـ التقديم والتأخير فيما يعود عليه الضمير

ومنه قوله تعالى : « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » (١٥٨) .

الضمير فى (فأسرها) راجع إلى الحزازة التى حدثت فى نفسه من قولهم (فقد سرق أخ له من قبل) ، أو راجع إلى نسبتهم إياه إلى السرقة ، أو راجع الى الحجة ، فيكون المعنى على هذا القول : فأسر يوسف الاحتجاج عليهم فى ادعائهم عليه بالسرقة ولم يبدها لهم . (١٥٩) .

وذهب قوم إلى أن الضمير يرجع إلى الجملة التى بعده (قال أنتم شر مكانا) ، كأنه قيل : فأسر الجملة أو الكلمة التى هى قوله عليه السلام .

---

(١٥٧) البحر ٣/٢٠٨ . ويراجع الجمل ١/٣٦٩ ، والكشاف١/٢٥٩

(١٥٨) يوسف آية ٧٣ .

(١٥٩) البحر ٥/٣٣٣ . الجمل ٢/٤٧٢ ، حاشية الشهاب ٥/١٩٧، ١٩٨ .

قال الجمل : « ففى الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : قال فى نفسه : (أنتم شر مكانا وأسرها) أى هذه الكلمة . وتبع فيه أبا البقاء » (١٦٠) .

وقال أبو البقاء : « وقيل فى الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : قال فى نفسه : أنتم شر مكانا وأسرها ، أى هذه الكلمة » (١٦١) .

ورد الجمل هذا الرأى بقوله : « ولم يرتضه الحلبى ورجعه إلى الحزازة التى حصلت من قولهم : (فقد سرق أخ له من قبل) . قال شهاب الدين : ومثل هذا ينبغى ألا يقال فإن القرآن ينزه عنه » (١٦٢) .

التقديم والتأخير فى مقول القول

ومنه قوله تعالى : « فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيدهن إن ربى بكيدهن عليم ، قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ، قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ـ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ـ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » (١٦٣) .

ذهب أكثر المفسرين فى قوله : (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب .. إلى قوله : ومما أبرئ نفسى) إلى أنه من كلام

---

(١٦٠) الجمل ٢/٤٧٢ .
(١٦١) التبيان ٢/٥٧ ، تفسير القرطبى ٩/٢٣٩ .
(١٦٢) الجمل ٢/٤٧٢ .
(١٦٣) يوسف آيات ٥٠ ـ ٥٣ .

يوسف عليه السلام(١٦٤) . ولذلك رأى بعضهم منهم ابن جريج أن فى الكلام تقديما وتأخيرا ، وذهب إلى أن (ذلك ليعلم ... الخ) متصل بقول يوسف : (فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم ، ذلك ليعلم...) . وعلى هذا فالاشارة بقوله : (ذلك) إلى إلقائه فى السجن ، والتماسه البراءة ، أى هذا ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب (١٦٥) .

وقال أبو حيان : « والظاهر أنه من كلام امرأة العزيز ، وهو داخل تحت قوله : (قالت) ، والمعنى : ذلك الإقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته ، والذب عنه ، وأدميه بذنب هو برىء منه ، ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها: وما أبرىء نفسى » (١٦٦) .

ثم رد على من قال إنه من كلام يوسف بقوله : « ومن ذهب إلى أن قوله : (ذلك ليعلم) الى آخره من كلام يوسف يحتاج إلى تكليف ربط بينه وبين ماقبله ، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف » (١٦٧) .

---

(١٦٤)الكشاف ٢/٢٦١ ، الجمل ٢/٤٦٠ ، تفسير القرطبى ٩/٢٠٩ حاشية الشهاب ٥/١٨٦

(١٦٥) البحر ٥/٣١٧ ، الكشاف ٢/٢٦٢ .

(١٦٦) البحر ٥/٣١٧ .

(١٦٧) المرجع السابق الجزء والصفحة .

١١ التقديم والتأخير فى الصفات

١ ـ مما جاء من الصفات مؤخرا عن موصوفه قوله تعالى.

« وممن حولكم من الأعراب منـافقون ومن أهل المـدينة مردوا على النفاق » (١٦٨) ٠

(ومن أهل المدينة) يجوز أن يكون معطوفا على قوله : (ممن حولكم) فيكون المجروران مشتركين فى المبتدأ الذى هو (منـافقون) ، ويكون جملة (مردوا على النفـاق) مستأنفة ، ويبعد أن يكون (مردوا) صفة للمبتدأ (منافقون) لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف ٠ ويجـوز أن يكون من عطف الجمل ، ويقدر موصوف محذوف هو المبتـدأ أى : (ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق) (١٦٩) ٠

ويرى بعض العلماء أن فى الآية تقديما وتأخيرا ٠ قال القرطبى : « وقيل : (مردوا) من نعت (المنافقين) ، فيكون فى الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة مثل ذلك »(١٧٠). وهو تكلف فى النظم القرآنى لاحاجة إليه ٠

٢ ـ ومنه قوله تعالى : « فهب لى من لدنك وليـا يرثنى ويرث من آل يعقوب » (١٧١) ٠

قرأ ابن عباس ، والحسن ، والجحدرى وغيرهم برفع (يرثنى) و (أرث) ، وحملهما أبو الفضل الرازى صـاحب

---

(١٦٨) التوبة آية ١٠١ ٠
(١٦٩) البحر ٥/٩٣ ، التبيان ٢/٢١ ٠
(١٧٠) تفسير القرطبى ٨/٢٤٠ ٠
(١٧١) مريم آية ٥ ، ٦ ٠

اللوامح : على التقديم والتأخير ، ومعناه : فهب لى من لدنك وليا من آل يعقوب يرثنى إن مت قبله بنبوتى ، وأرث ماله إن مات قبلى(١٧٢) .

وأرى أنه لا ضرورة تدعو إلى هذا التكلف . وأنهما صفتان (لوليا) لأنه المتبادر من الجمل الواقعة بعد النكرات(١٧٣) .

١٢ ـ التقديم والتأخير بالقلب

القلب من مسائل التقديم والتأخير ، ولكنه أعم منه ، لأنه يكون لفظيا فى الكلمة والجملة ، ومعنويا بأن يكون اللفظ على حاله ، والمقلوب هو المعنى كألفاظ الأضداد ، ومجاله علم اللغة وفقهها ، وما وقع فى الكلمة المفردة مجاله علم الصرف .

والذى يعنينا هو القلب فى الجملة ، ومدى وقوعه فى القرآن الكريم ، وموقف العلماء منه .

نجد تباينا فى مواقف النحويين وغيرهم منه ، فقبله قوم ، ومنعه آخرون داعين إلى تنزيه كتاب الله عنه ، وقد ورد لبعضهم رأى وسط ، إذ اشترطوا لقبوله تضمنه اعتبارا لطيفا ، وإلا فلا يقبل .

قال الزركشى : « أنكره جماعة منهم حازم فى كتاب (منهاج البلغاء) ، وقال : إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ، لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم، أو المحاكاة ، أو حال اضطراد ، والله منزه عن ذلك .

---

(١٧٢) البحر ٦/ ١٧٤ .
(١٧٣) حاشية الشهاب ٦/ ١٤٥ .

وقبله جماعة مطلقا بشرط عدم اللبس كما قاله المبرد فى كتاب (ماانتفق لفظه واختلف معناه) · وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتبارا لطيفا فبليغ ، وإلا فلا ·

ولهذا قال ابن الضائع : يجوز القلب على التأويل ، ثم قد يقرب التأويل فيصح فى فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر » (١٧٤) ·

ويرى ابن يعيش أن فيه تعسفا من جهة اللفظ ، ففى قوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » (١٧٥) ، ذكر أن (من) للتبيين ، وأن المعنى : فاجتنبوا الرجس الذى هو وثن · وقل : « وقد حمل بعضهم الآية على القلب ، أى : الأوثان من الرجس · وفيه تعسف من جهة اللفظ ، والمعنى واحد » (١٧٦) ·

وذكر السيوطى أن ابن درستويه قد أنكره · جاء فى المزهر : « ذهب ابن درستويه إلى إنكار القلب ، فقال فى شرح الفصيح : فى البطيخ لغة أخرى طبيخ بتقديم الطاء ، وليست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون ، وقد بينا الحجة فى ذلك فى كتاب إبطال القلب » (١٧٧) ·

ويبدو من المثال الذى ذكره ابن درستويه أنه ينكر القلب فى الكلمة المفردة ·

ومنعه أبو حيان ورد على من ذهب إلى القلب فى قوله

---

(١٧٤) البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٨٨ ·
(١٧٥) سورة الحج آية ٣٠ ·
(١٧٦) شرح المفصل ٨/١٢ ·
(١٧٧) المزهر فى علوم اللغة ١/٤٨١ ·

تعالى . (خلق الإنسان من عجل) (١٧٨) . قال : « ومن يدعى القلب فيه ، هو أبو عمرو ، وأن التقدير : خلق العجل من الإنسان ، وكذا قراة عبد الله على معنى أنه جعل طبيعة من طبائعه ، وجزءا من أخلاقه . فليس قوله يجيد ، لأن القلب : الصحيح فيه أن لا يكون فى كلام فصيح ، وأن بابه الشعر » (١٧٩) .

ومن الذين قبلوه وجوزوه أبو عمرو بن العلاء كما جاء فى كلام أبى حيان السابق .

ومنهم ابن هشام ، ولكنه ذكر أن أكثره يكون فى الشعر . قال : « من فنون كلامهم القلب وأكثر وقوعه فى الشعر »(١٨٠) وأجازه يعقوب بن السكيب والسكاكى (١٨١) ، والزمخشرى(١٨٢) ، والفراء (١٨٣) .

وأجازه أحمد بن فارس ، وسماه القلب فى القصة ، قال: « ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة ، ويكون فى القصة . فأما الكلمة فقولهم : جذب وجبذ ، وبكل ولبك (١٨٤) وهو كثير قد صنفه علماء اللغة . وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شىء » (١٨٥) ، وذكر بعض

---

(١٧٨) الأنبياء آية ٣٧ .
(١٧٩) البحر ٦/٣١٢ .
(١٨٠) حاشية الدسوقى على المغنى ٢/٣١٥ (القاعدة العاشرة)
(١٨١) المرجع السابق الجزء والصفحة .
(١٨٢) الكشاف ٣/٤٤٧ .
(١٨٣) معانى القرآن ٢/١٥ ، ٦٦ .
(١٨٤) فى اللسان (ب ك ل) : البكل : الخلط ، وبكلة : اذا خلطه، وبكل عليه : خلط . ومن أمثالهم فى التباس الأمر : بكل من البكل ، وهو اختلاط الرأى .
(١٨٥) الصاحبى ٣٢٩ .

الشواهد من القرآن للقلب فى الجملة سنأتى إن شاء الله .

وابن دريد ذكر للقلب بابا فى الجمهرة تحت عنوان : « باب الحروف التى قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات وهذا القول خلاف أهل اللغة » (١٨٦) .

وذكر السيوطى بابا للقلب فى المزهر أيضا تحت عنوان « النوع الثالث والثلاثون : معرفة القلب » ، وذكر فيه آراء لابن فارس ، وابن السكيت ، وابن دريد ، والأصمعى ، وابن العربى ، والزجاجى ، والسخاوى ، ولكنه اقتصر فى حديثه عن القلب فى الكلمة ذاكرا آراء العلماء السابقين وغيرهم (١٨٧) .

وسوف أكتفى بذكر بعض الشواهد على القلب من القرآن الكريم على مذهب من أجازه كصورة من صور التقديم والتأخير .

١ ـ قال تعالى : « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا » (١٨٨) .

الغاء للتعقيب ، والأصل فى الهلاك أن يكون بعد مجىء البأس ، ولا يتصور العكس كما فى ظاهر الآية . ولذلك قال أبو حيان : « فلا بد من تجوز إما فى الفعل بأن يراد به أردنا اهلاكها ، أو حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا » (١٨٩) .

---

(١٨٦) الجمهرة ١/٤٣١ ، المزهر ١/٤٧٦ .
(١٨٧) المزهر ١/٤٧٦ ـ ٤٨١ .
(١٨٨) الأعراف آية ٤ .
(١٨٩) البحر ٤/٢٦٨ .

وقيل : إن الكلام محمول على القلب ، قال العكبرى : « وقال قوم هو على القلب ، أى وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها » (١٩٠) .

ويرى الفراء : أن الإهلاك هو مجىء البأس ، ومجىء البأس هو الإهلاك ، فلما تلازما لم يلزم الترتيب ، وقدمت أيهما شئت ، كما تقول : شتمنى فأساء ، وأساء فشتمنى ، لأن الإساءة والشتم شىء واحد .

قال الفراء : « يقال : إنما أتى البأس من قبل الإهلاك ، فكيف تقدم الهلاك ؟ قلت : لأن الهلاك والبأس يقعان معا ، كما تقول : أعطيتنى فأحسنت ، فلم يكن الإحسان بعد العطاء ولا قبله ، إنما وقعا معا ، فاستجيز ذلك » (١٩١) .

وهذه التأويلات أولى من حمل النص على القلب ، لأن فيه تفكيكا للنظم ، ولذلك قال العكبرى: « والقلب هنا لاحاجة إليه » (١٩٢) .

٢ ـ قال تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس » (١٩٣) .

قوله : (لجهنم) يجوز أن يتعلق بذرأنا ، وأن يتعلق بمحذوف على أن يكون حالا من (كثيرا) ، لأنه فى الأصل صفة له لو تأخر .

---

(١٩٠) التبيان ١/٢٨٦ ، حاشية الدسوقى على المغنى ٢/٣١٧ .
(١٩١) معانى القرآن ١/٣٧١ ، البحر ٤/١٦٨ ، تفسير القرطبى ٧/١٦٢ ، ١٦٣ .
(١٩٢) التبيان ١/٢٦٨ .
(١٩٣) الأعراف آية ١٧٩ .

وزعم قوم أن فى الكلام قلبا ، ورده أبو حيان قال : « ودعوى القلب فيه وأن تقديره : ولقد ذرأنا جهنم لكثير ، غير سديد ، لأن القلب لا يكون إلا فى الشعر على الصحيح » (١٩٤) ٠

وقال الجمل : « ولا حاجة إلى ادعاء قلب ، وأن الأصل : ذرأنا جهنم لكثير ، لأنه ضرورة أو قليل » (١٩٥) ٠

٣ ـ قال تعالى : « قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم » (١٩٦) ٠

المعنى : البينة أو الرحمة التى أتت من الله خفى فهمها عليهم لقلة مبالاتهم وكثرة إعراضهم عنها ٠ وزعم قوم أن فى الآية تقديما وتأخيرا ، أى : فعميتم أنتم عنها ٠ قال أبو حيان : « وقيل : هذا من المقلوب فعميتم أنتم عنها كما تقول العرب: أدخلت القلنسوة فى رأسى ٠٠٠ والقلب عند أصحابنا لايجوز إلا فى الضرورة ٠٠٠ ولو كان (فعميت عليكم) من باب القلب لكان التعدى بعن دون على ، ألا ترى أنك تقول : عميت عن كذا ، ولا تقول عميت على كذا » (١٩٧) ٠

وقال القرطبى : « وقيل هو مقلوب ، لأن الرحمة لاتعمى إنما يعمى عنها » (١٩٨) ٠

وقال الشهاب : « وأما ادعاء القلب وأن أصله عميتم

---

(١٩٤) البحر ٤/٤٢٧ ٠
(١٩٥) الجمل ٢/٢١٣ ٠
(١٩٦) هود آية ٢٨ ٠
(١٩٧) البحر ٥/٢١٦ ٠
(١٩٨) تفسير القرطبى ٩/٢٥ ٠٠

منها ، فيـأباه ذكر (على) دون (عن) مع أنه ليس يحسن عنا) (١٩٩) .

وهكذا فإن المعنى واضح بدون القلب ولا داعى إلى تكلف القول به .

٤ ـ قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (٢٠٠)

يرى الفراء أن الآية من باب القلب ، والمعنى لكل كتاب أجل (٢٠١) واستبعده أبو حيـان ، قال : « وقال الضحاك والفراء : المعنى لكل كتاب أجل . ولا يجوز ادعاء القلب إلا فى ضرورة الشعر ، وأما هنا فالمعنى فى غاية الصحة بلا عكس ولا قلب ، بل ادعاء القلب هنا لايصح المعنى عليه ، إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها » (٢٠٢) .

٥ ـ قال تعالى : « خلق الإنسان من عجل » (٢٠٣) .

(من عجل) فى موضع نصب على الحال ، وقيل : فى موضع نصب على المفعول به (لخلق) على المجاز(٢٠٤) ، وذهب أبو عمرو بن العلاء ، وأبو عبيدة ، وثعلب وابن السكيت إلى أن الآية من باب القلب ، أى خلق العجل من الإنسان .

وهو غير جيد عن أبى حيان ، قال : « ومن يدعى القلب

---

(١٩٩) حاشية الشهاب ٥/٩١ ، الجمل ٢/٣٩١ ، البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٩٠

(٢٠٠) الرعد آية ٣٨ .

(٢٠١) ٢/٦٥ معانى القرآن .

(٢٠٢) البحر ٥/٣٩٧ .

(٢٠٣) الأنبياء آية ٣٧ .

(٢٠٤) التبيان ٢/١٣٣ .

فيه . وهو أبو عمرو ، وأن التقدير : خلق العجل من الإنسان، وكذلك قراءة عبد الله على معنى أنه جعل طبيعة من طبائعه وجزء من أخلاقه ، فليس قولَه بجيد ، لأن القلب : الصحيح فيه ألا يكون فى كلام فصيح ، وأن بابه الشعر » (٢٠٥) .

وقال القرطبى : « هذا القول لاينبغى أن يجاب به فى كتاب الله ، لأن القلب إنما يقع فى الشعر اضطرارا » (٢٠٦)

٦ ـ قال تعالى : « فإنهم عدو لى إلا رب العالمين » (٢٠٧

الأصنام لا تعادى أحدا لكونها جمادا ، وعليه فالرسول هو الذى عاداها ، ولذلك حمل النحويون الآية على حذف مضاف ، أى : فإن عبادهم عدو لى . ويرى بعض النحاة أن الكلام محمول على القلب أى : فإنى عدو لهم .

قال أحمد بن فارس : « قال بعض علمائنا : ومن القلب قوله جل وعز : (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) ، فالأصنام لاتعادى أحدا ، فكأنه قال : فإنى عدو لهم » (٢٠٨) .

وهذا الرأى مردود عند أبى حيان ، وهو الظاهر ، لأن المعنى واضح بدونه ولا حاجة إليه . قال : « ... وليس بشىء ولا ضرورة تدعو إلى ذلك » (٢٠٩) .

٧ ـ قال تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (٢١٠)

---

(٢٠٥) البحر ٦/٢١٢ ، ٣١٣ .
(٢٠٦) تفسير القرطبى ١١/٢٨٩ ، البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٨٩ الصاحبى ٣٣١ .
(٢٠٧) الشعراء آية ٧٧ .
(٢٠٨) الصاحبى ٣٣٢ .
(٢٠٩) البحر ٧/٢٤ ، تفسير القرطبى ١٣/١١٠ ، البرهان ٣/٢٩٠
(٢١٠) القصص آية ١٢ .

التحريم هنا بمعنى المنع ، أى منعناه أن يرضع ثدى امرأة ، أى منعناه من الارتضاع من قبل مجىء أمه (٢١١) .

وجعله أحمد بن فارس من باب القلب ، قال : « ومن القلب قوله جل ثناؤه : (وحرمنا عليه المراضع من قبل) ومعلوم أن التحريم لايقع إلا على من يلزمه الأمر والنهى ، وإذا كان كذا ، فالمعنى : وحرمنا على المراضع أن ترضعه . ووجه تحريم إرضاعه عليهن : ألا يقبل إرضاعهن حتى يرد الى أمه » (٢١٢) .

٨ ـ قال تعالى : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (٢١٣) .

الغربيب : هو شديد السواد ، وفيه عدة أوجه :

ذهب الزمخشرى إلى أن الغربيب تأكيد للأسود ، ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ، وعليه فالمؤكد محذوف عنده ، والموجود تفسير له ، والتقدير : سود غرابيب سود . ثم قال : « وإنما يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والاضمار جميعا »(٢١٤) .

واعترض عليه أبو حيان قال : « وهذا لايصح إلا على مذهب من يجيز حذف المؤكد ، ومن النحاة من منع ذلك ، وهو اختيار ابن مالك » (٢١٥) .

---

(٢١١) البحر ٧/١٠٦ ، تفسير القرطبى ١٣/٢٥٧ .
(٢١٢) الصاحبى ٢٣١ ، البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٩١ .
(٢١٣ فاطر آية ٢٧ .
(٢١٤) الكشاف ٣/٢٧٤ .
(٢١٥) البحر المحيط ٧/٣١١ .

ويرى أبو عبيدة أن فى الآية تقديما وتأخيرا ، قال القرطبى : « قال أبو عبيدة : الغرابيب : الشديد السواد ، ففى الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى ومن الجبال سود غرابيب » (٢١٦) .

ويرى آخرون أن (سودا) بدل من غرابيب ، وهو الظاهر فى هذه المسألة ، لأن توكيد الألوان لايتقدم ، قال الزبيدى : « إذا قلت : (غرابيب سود) فإن السود بدل من غرابيب ، لأن توكيد الألوان لايتقدم ، وهو عبارة ابن منظور . قال شيخنا نقلا عن السهيلى : وظاهره أن توكيد غير الألوان يتقدم . ولا قائل به من أهل العربية » (٢١٧) .

وقال أبو حيان مرجحا ومحسنا البدلية : « وهذا أحسن، ويحسنه كون غرابيب لم يلزم فيه أن يستعمل توكيدا، ومنه ماجاء فى الحديث : (إن الله يبغض الشيخ الغربيب ، يعنى الذى يخضب بالسواد . وقال الشاعر :

العين طامحة واليد سابحة - والرجل لائحة والوجه غربيب » (٢١٨) .

فقد وقعت فى الحديث صفة ، وفى البيت خبرا .

٩ - قال تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » (٢١٩) .

---

(٢١٦) تفسير القرطبى ١٤/٣٤٢ .
(٢١٧) تاج العروس (غ ر ب) ، لسان العرب (غ ر ب) . .
(٢١٨) البحر ٧/٣١٢ .
(٢١٩ الأحقاف) آية ٢٠ .

يرى الزمخشرى أن الكلام محمـول على القلب ، أى : يوم تعرض النار عليهم ، وهو كقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، يرون: عرض الحوض عليها فقلبوا (٢٢٠) .

ورده أبو حيان بقوله . « ولا ينبغى حمل القـرآن على القلب ، إذ الصحيح فى القلب أنه مما يضطر إليه فى الشعر، واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب ، فأى ضرورة تدعو إليه » (٢٢١) .

وقال الزركشى معللا وموضحا عدم قبول القلب : « وجعل الزمخشرى من القلب قوله تعـالى ـ الآية ـ لأن المعـروض ليس له اختيار ، وإنما الاختيار للمعروض عليه ، فإنه قـد يفعل ويزيد . وعلى هـذا فـلا قلب فى الآيـة ، لأن الكفـار مقهورون لا اختيار لهم ، والنار متصرفة فيهم ، وهو كالمتاع الذى يقرب منه من يعرض عليه كما قالوا : عرضت الجارية على البيع » (٢٢٢) .

٢٠ ـ قال تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (٢٢٣)

قرأ أبو بكر ، وابن مسـعود : (وجاءت سـكرة الحق بالموت) على القلب(٢٢٤) . ورد القرطبى على هذه القراءة. قال : « بأن أبا بكر رويت عنه روايتان ، إحداهما موافقـة للمصحف فعليها العمل ، والأخرى مرفوضة تجـرى مجـرى

---

(٢٢٠) الكشاف ٣/٤٤٧ .
(٢٢١) البحر ٨/٦٣ .
(٢٢٢) البرهان ٣/٢٩١ .
(٢٢٣) ق آية ١٩ .
(٢٢٤) الكشاف ٤/٢١ ، البرهان ٣/٢٩٠ .

النسـيان منـه إن كان قالهـا ، أو الغلط من بعض من نقـل الحديث » ٢٢٥) ٠

١٢ ـ قال تعالى : « ثم دنا فتدلى »)٢٢٦) ٠

قال القرطبى : « وقال الجـرجانى : فى الكلام تقـديم وتأخير ، أى تدلى فدنا ، لأن التدلى سبب الدنو » (٢٢٧) ٠

وقال الزركشى : « أى : تدلى فدنا ، لأنه بالتـدلى نال الدنو والقـرب إلى المنزلة الرفيعـة والى المـكانة ، لا الى المكان » (٢٢٨) ٠

ويرى الفراء أنه إذا كان معنى الفعلين واحدا صح تقديم أيهما ، قال : « فتدلى : كأن المعنى ثم تدلى فدنا ، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحـدا ، أو كالواحد ، قدمت أيهمـا شئت ، فقلت : قد دنا فقرب ، وقرب فدنا ، وشتمنى فأساء ، وأساء فشتمنى » (٢٢٩) ٠

وذكر ابن هشام أنه مؤول على أن المراد من الفعل الإرادة، أى . أراد الدنو فتدلى (٢٣٠) ٠ وهذا الرأى أولى من ادعاء القلب ٠

---

(٢٢٥) تفسير القرطبى ١٢/١٧ ، معانى القرآن للفراء ٧٨/٣ ٠
(٢٢٦) النجم آية ٨ ٠
(٢٢٧) تفسير القرطبى ٨٩/١٧ ٠
(٢٢٨) البرهان ٢٩٢/٣ ٠
(٢٢٩) معانى القرآن ٩٥/٣ ٠
(٢٣٠) حاشية الدسوقى على المغنى ٣١٧/٢ ٠

خاتمة البحث

فى نهاية البحث ومن خلال الآيات التى قمت بدراستها فى مسألة التقديم والتأخير فى القرآن الكريم على رأى من أجازه من النحويين وغيرهم وجدت أن التقديم والتأخير يكون فى المواضع الآتية :

١ ـ فى الشرط وجوابه
٢ ـ فى المعطوفات بأوجه مختلفة
٣ ـ فى الحال
٤ ـ فى متعلقات الأفعال
٥ ـ فى الحروف الخافضة وغيرها
٦ ـ فيما هو فى حيز (إلا) أو (إن)
٧ ـ فى التمييز والمميز
٨ ـ فيما يعود عليه الضمير
٩ ـ فيما يتصل بمقول القول
١٠ ـ فى الصفات

وبالنسبة إلى القلب فهو من مسائل التقديم والتأخير، ولكنه أعم منه ، لأنه يكون لفظيا فى الكلمة وفى الجملة ، ومعنويا بأن يكون اللفظ على حاله ، والمقلوب هو المعنى كألفاظ الأضداد .

إوكان قصدى القلب فى الجملة فى القرآن الكريم ، وعلى قول من أجازه وقبله ، وممن خلال الآيات التى درستها فيه وجدت أنه يكون فى المواضع الآتية :

١ ـ فى المعطوف والمعطوف عليه كما فى الآية الأولى والحادية عشرة من آيات القلب .

٢ ـ فى المفعول به والجار والمجرور كما فى الآية الثانية والسابعة .

٣ ـ فى نائب الفاعل والجار والمجرور كما فى الآية الثالثة والخامسة والتاسعة .

٤ ـ فى المضاف إليه والمبتدأ المؤخر كما فى الآية الرابعة

٥ ـ فى اسم الحرف الناسخ والجار والمجرور كما فى الآية السادسة .

٦ ـ فى التأكيد كما فى الآية الثامنة .

٧ ـ فى المضاف إليه والجار والمجرور كما فى الآية العاشرة .

أدعو الله العلى القدير أن ينتفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم إنه على مايشاء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

الدكتور
محمد السيد متولى
أستاذ مساعد
قسم اللغويات ـ كلية اللغة العربية ـ
ايتاى البارود

مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أحكام القرآن ـ أبو بكر بن العربى ـ تحقيق محمد على البيجاوى ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

٣ ـ إعراب ثلاثين سورة ـ لابن خالويه ـ تحقيق محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن

٤ ـ إعراب القرآن المنسوب للزجاج ـ تحقيق ابراهيم الابيارى ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ـ دار الكتاب المصرى بالقاهرة ـ دار الكتاب اللبنانى بيروت

٥ ـ الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م

٦ ـ البحر المحيط ـ لأبى حيان ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

٧ ـ البرهان فى علوم القرآن ـ للزركشى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت

٨ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن ـ أبو البركات الأنبارى ـ تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

٩ - تاج العروس - للزبيدى - الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية - مصر - سنة ١٣٠٦ هـ

١٠- التبيان فى إعراب القرآن - العكبرى - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م - المكتبة التوفيقية .

١١- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧ م .

١٢- تفسير النهر الماد من البحر - لأبى حيان - المطبوع بإطار البحر المحيط .

١٣- الجدول فى إعراب القرآن وصرفه - تصنيف محمود صافى - مؤسسة الإيمان - بيروت - دار الرشيد - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١٤- جمهرة اللغة - لابن دريد - مكتبة المثنى بغداد .

١٥- حاشية الدسوقى على المغنى - مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

١٦- حاشية الشهاب - المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على - تفسير البيضاوى - المكتبة الإسلامية - محمد أزددير - دياار بكر - تركيا

١٧- حاشية الصبان على شرح الأشمونى - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى .

١٨- الخصائص - لابن جنى - تحقيق محمد على النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيزوت - الطبعة الثانية

١٩- الدر اللقيط من البحر المحيط - للإمام تاج الدين الحنفى النحوى تلميذ أبى حيان ٠

٢٠- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجانى - شرح وتعليق أحمد مصطفى مراغى - الطبعة الثانية - المطبعة العربية ٠

٢١- شرح المفصل - لابن يعيش - عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبى القاهرة ٠

٢٢- الصاحبى - لأحمد بن فارس - تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة ٠

٢٣ - الفتوحات الإلهية - للجمل - مطبعة عيسى البابى الحلبى - مصر ٠

٢٤- الكشاف - للزمخشرى - دار المعرفة - بيروت ٠

٢٥- لسان العرب - لابن منظور ٠

٢٦- المحتسب - لابن جنى- تحقيق على النجدى وعبدالفتاح شلبى - القاهرة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لجنة إحياء التراث الاسلامى ٠

٢٧- المزهر فى علوم اللغة - للسيوطى - شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البيجاوى - دار التراث - القاهرة - الطبعة الثالثة ٠

٢٨- مشكل إعراب القرآن - لمكى بن أبى طالب القيسى - تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

٢٩- معانى القرآن - للأخفش - تحقيق د. عبد الأمير الورد - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م .

٣٠- معانى القرآن - للفراء - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٣١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضع محمد فؤاد عبد الباقى - دار ومطابع الشعب .

٣٢- مغنى اللبيب - لابن هشام - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة ومطبعة محمد على صبيح

٣٣- همع الهوامع - للسيوطى - دار المعرفة - بيروت